

## مسلك الحدائين في التعامل مع السنة المشرفة

(Method of the Modernist in Dealing with the Sunnah)

<sup>1</sup>Rabīe Ibrahīm Mohamed Hassan, <sup>2</sup>Abdul Ghani Bin Md Din, <sup>3</sup>Mohamed Hāmed Mohamed Said  
<sup>4</sup>Sha'aban 'Abdel Hamīd Refāe Mohamed

<sup>1,3,4</sup>Senior Lecturer Faculty of Usuludin and Sains al-Quran, Universiti Islam Antarabangsa Sultan Abdul Halim Mu'azdam Shah, Kuala Ketil 9300, Kedah Darul Aman

<sup>2</sup>PhD student Department of Hadith Faculty of Usuludin and Sains al-Quran, Universiti Islam Antarabangsa Sultan Abdul Halim Mu'azdam Shah, Kuala Ketil 9300, Kedah Darul Aman

### Abstract

يسعى البحث إلى بيان انحراف الحدائين في التعامل مع السنة النبوية المشرفة، كذلك بيان زيف وبطلان دعاويهم ضد السنة النبوية المشرفة، ويهدف البحث إلى تنوير الشباب المسلم خاصة والمسلمين عامة حتى لا يندفعوا بأفكار الحدائين، ولا يبنهروا بالشعارات التي يرفعونها، كذلك بيان مناهج الحدائين في توثيق واعتماد الأحاديث، حتى يكونوا بينة منهم ويتنبهونهم، وستتبع في هذا البحث المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي الاستنباطي؛ وذلك باستقراء وتتبع كتابات الحدائين، وتعاملهم مع السنة المشرفة، وذلك من خلال كتاباتهم وكتبهم، وليس من خلال ما نقل عنهم، أو ما قاله مخالفوهم عنهم، ثم المنهج التحليلي الاستنباطي لاستنباط مسالكهم في نقد السنة المشرفة والتعامل معها، ومن النتائج المتوقعة التي سنصل إليها أن الحدائين يتبنون المناهج الغربية لنقد موروثاتهم الدينية التي كانت بالفعل تحتاج إلى نقد علمي وعقلي، لما شاب تلك الموروثات من خرافات وخزعبلات، فهم يتبنون نفس المناهج للتعامل مع التراث الإسلامي، وأهم يقصدون عقولهم ويجعلونها قاضية على الكتاب والسنة، وأهم ينظرون إلى النموذج الغربي على أنه النموذج الذي يجب أن يحتذى وينشد، وأن تراثنا الإسلامي هو سبب تأخر الأمة، وغيرها، والله المستعان وهو الهادي إلى الطريق المستقيم.

كلمات مفتاحية: مناهج، مسلك، الحدائين، المستشرق، المعتزلة.

### Article Progress

Received: 7 July 2019  
Revised: 15 October 2019  
Accepted: 8 November 2019

\*Corresponding Author:  
Sha'aban 'Abdel Hamīd Refāe  
Mohamed.  
Senior Lecturer Faculty of  
Usuludin and Sains al-Quran,  
Universiti Islam Antarabangsa  
Sultan Abdul Halim Mu'azdam  
Shah, Kuala Ketil 9300, Kedah  
Darul  
Email: elrafaiia@yahoo.com

### المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أنزل الله عليه الذكر لبيّن للناس ما نزل إليهم لعلهم يتفكرون. وبعد: فقد ظهرت فرق وتيارات فكرية على مدار تاريخ الدعوة الإسلامية، منها ما واجه الإسلام صراحة، وحاربه محاربة سافرة، ومنها ما انتسب إلى الإسلام لكن له أفهام وأفكار مجافية للإسلام، وخارجة عن روحه وحقيقته التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هذه التيارات الفكرية التي ظهرت في القرن الماضي تيار ما يسمى بالحدائنة، وقد نشأت الحدائنة أولا بالغرب، ثم انتقلت إلى العالم العربي والإسلامي على يد تلاميذ الغرب والمفتونين بهم، فأخذ الحدائين العرب ينادون بما نادى به الحدائين الغربيون، فينادون بالثورة على التراث، وتجاوز السائد والمألوف، والتمرد على كل ما هو سابق ومعروف، وهدم الماضي الموروث، وإخضاع النصوص الشرعية من القرآن والسنة للنقد وفق عقولهم وأهوائهم، فلا يوجد نص

مقدس فوق النقد، وهذا في ذاته يعني تشكيك هؤلاء في أصل الوحي، وكان للسنة النصيب الأوفر من سهام هؤلاء، وهم في ذلك يتخذون مسالك شتى للتعامل مع السنة، وهذا البحث يوجز الحديث عن مسالك هؤلاء في تعاملهم مع السنة المشرفة، وهو بعنوان: "مسلك الحدائين في التعامل مع السنة المشرفة"، وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وستة مطالب، وخاتمة.

## تمهيد: تعريف الحدائنة لغة واصطلاحاً

### الحدائنة لغة:

قال ابن منظور: الحديث: نقيض القديم. والحدوث: نقيض القدمة. حدث الشيء يحدث حدوثاً وحدائنة<sup>1</sup>.  
وقال ابن فارس: الحاء والذال والثاء أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن. يقال حدث أمر بعد أن لم يكن<sup>2</sup>.  
وقال الرازي: (الْحُدُوثُ) بِالضَّمِّ كَوْنُ الشَّيْءِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ وَبَابُهُ دَخَلَ (أَخَذْتَهُ) اللَّهُ (فَحَدَّثَ) . وَ(الْحَدَّثُ) بِفَتْحَتَيْنِ وَ(الْحُدُوثُ) بِوَزْنِ الْكُبْرَى وَ(الْحَادِثَةُ) وَ(الْحَدَائِنُ) بِفَتْحَتَيْنِ كُلُّهُ بِمَعْنَى . وَ(اسْتَحَدَّثَ) خَبِرًا وَجَدَ خَبِيرًا جَدِيدًا. وَرَجُلٌ (حَدَّثَ) بِفَتْحَتَيْنِ أَيْ شَابَّ فَإِنْ ذَكَرْتَ السِّنَّ قُلْتَ: (حَدِيثٌ) السِّنِّ وَغُلْمَانٌ (حَدَثَانٌ) أَيْ أَحْدَاثٌ. وَ(الْمُحَادِثَةُ) وَ(التَّحَادُثُ) وَ(التَّحَدُّثُ) وَ(التَّحْدِيثُ) مَعْرُوفَاتٌ وَالْأَحْدُوثَةُ بِوَزْنِ الْأَعْجُوبَةِ مَا يُتَحَدَّثُ بِهِ. وَ(الْمُحَدَّثُ) بِفَتْحِ الدَّالِ وَتَشْدِيدِهَا الرَّجُلُ الصَّادِقُ الظَّنَّ<sup>3</sup>.  
وقال الحموي: "حَدَّثَ الشَّيْءُ حُدُوثًا مِنْ بَابِ قَعَدَ بَحَدَّ وَجُودُهُ فَهُوَ حَدِيثٌ وَحَدِيثٌ وَمِنْهُ يُقَالُ حَدَّثَ بِهِ عَيْبٌ إِذَا بَحَدَّ وَكَانَ مَعْدُومًا قَبْلَ ذَلِكَ وَيَتَعَدَّى بِالْأَلْفِ فَيُقَالُ أَحَدَّثْتُهُ وَمِنْهُ مُحَدَّثَاتُ الْأُمُورِ وَهِيَ الَّتِي ابْتَدَعَهَا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ. وَأَحَدَّثَ الْإِنْسَانُ إِحْدَاثًا وَالْإِسْمُ الْحَدِيثُ وَهُوَ الْحَالَةُ النَّاقِضَةُ لِلطَّهَارَةِ شَرَعًا وَالْجَمْعُ الْأَحْدَاثُ مِثْلُ: سَبَبٍ وَأَسْبَابٍ وَمَعْنَى فَوَلَّهِمُ النَّاقِضَةُ لِلطَّهَارَةِ أَنَّ الْحَدِيثَ إِنْ صَادَفَ طَهَارَةً نَقَضَهَا وَرَفَعَهَا وَإِنْ لَمْ يُصَادَفْ طَهَارَةً فَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يُجُوزَ أَنْ يَجْتَمِعَ عَلَى الشَّخْصِ أَحْدَاثٌ"<sup>4</sup>.

### الحدائنة اصطلاحاً:

الحدائنة مصطلح غربي يقوم على التحرر من سيطرة الثوابت والمعتقدات، وإخضاعها لهيمنة العقل في كل ميادين الحياة، وقد كثرت تعريفاته عند الحدائين، وعند الناقدين للحدائنة، ومن أقرب التعريفات وأشملها التعريف التالي:

<sup>1</sup> ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل الأنصاري الرويفعي الإفريقي، 1414هـ، لسان العرب"، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ج 2، ص 131.

<sup>2</sup> أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، د.ت، معجم مقاييس اللغة"، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج 2، ص 36.

<sup>3</sup> الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، د.ت، مختار الصحاح"، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ص 68 .

<sup>4</sup> الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، د.ن، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير"، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ج 1، ص 124 .

" الحداثة هي محاولة صياغة نموذج للفكر والحياة يتجاوز الموروث، ويتحرر من قيوده (ثوابته) ليحقق تقدم الإنسان ورفقه بعقله ومناهجه العصرية الغربية لتطويع الكون لإرادته واستخراج مقدراته لخدمته"<sup>1</sup>.  
ويكون الحدائي بذلك هو الشخص الذي يأخذ بهذا النموذج، ويسعى لتطبيقه على الواقع المعاش، فهو بذلك يحدث في الدين تغييرا وتبديلا، وزيادة ونقصانا.

قال ابن حجر: "وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان وجعلوا كلام الفلاسفة أصلا يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل ولو كان مستكرها ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم وأولها بالتحصيل وأن من لم يستعمل ما اصطلاحوا عليه فهو عامي جاهل فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف واجتنب ما أحدثه الخلف"<sup>2</sup>.

## المطلب الأول

### المسلك الأول: الاقتصار على نقد المتن فقط دون السند

الحداثيون لا ينشغلون بالكلام على الإسناد صحة وضعفا، فما كان يتوافق مع عقولهم وأهوائهم قبلوه حتى ولو كان موضوعا، أو ساقطا، أو لا أصل له، وما تعارض مع عقولهم ومسالكتهم في التعامل مع النصوص الشرعية عموما رفضوه ولو في أعلى درجات الصحة. فصحة السند أو ضعفه ليس لها عندهم أي اعتبار.  
يقول جمال البنا: "معيار الصحة هو المتن وليس السند؛ لأن هذا سيجعل المعنى هو الفيصل"<sup>3</sup>.  
ويقول خليل عبد الكريم: "نحن لا نقوم الأحاديث بالميزان الذي كان يمسكه علماء الجرح والتعديل، إن لنا مقياسا مغايرا، فنحن نقبلها على علاقتها، .... لا نوزنها بميزان صدورها من محمد أو هذا أو ذاك من الصحابة، ولكننا نوزنها بميزان دلالتها عما كان يعتدل في ذلك المجتمع... وهذه الأحاديث حتى الموضوعة نستشف منها الكثير... إذ إنها مهما بلغ عوارها أو الحديثي فإنها نتاج عصرها، وثمرتها بيئتها"<sup>4</sup>.  
وميزان علماء الجرح والتعديل الذي يرفضه خليل عبد الكريم يقوم على نقد السند والتمن معا.  
وهذا المسلك وضعه الغرب لنقد موروثاتهم اعتمادا على النصوص فقط؛ لأنهم ليس لديهم أسانيد يعتمدون عليها، أو ينتقدونها، وهذا يخالف تماما الوضع عند المسلمين، إذا إن أي نص ليس له إسناد ليس له أي اعتبار.

<sup>1</sup> الحارث فخري عبد الله، د.ت، الحداثة وموقفها من السنة"، دار السلام- مصر، ص33.

<sup>2</sup> ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، 1379هـ، فتح الباري شرح صحيح البخاري"، دار المعرفة، بيروت، ج13، ص253.

<sup>3</sup> جمال البنا، د.ت، السنة ودورها في التجديد" دار الفكر الإسلامي، القاهرة، ص 118.

<sup>4</sup> خليل عبد الكريم، د.ت، الصحابة والمجتمع"، سينا للنشر، مصر، ص343.

روى الخطيب البغدادي، عن محمد بن حاتم بن مظفر أنه قال: "إِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَشَرَّفَهَا وَفَضَّلَهَا بِالْإِسْنَادِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَّمِ كُلِّهَا، قَدِيمُهُمْ وَحَدِيثُهُمْ، إِسْنَادٌ، وَإِنَّمَا هِيَ صُحُفٌ فِي أَيْدِيهِمْ، وَقَدْ خَلَطُوا بِكُتُبِهِمْ أَحْبَابَهُمْ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ تَمْيِيزٌ بَيْنَ مَا نَزَلَ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مِمَّا جَاءَهُمْ بِهِ أَنْبِيَائُهُمْ، وَتَمْيِيزٌ بَيْنَ مَا أَحْفُوهُ بِكُتُبِهِمْ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي أَخَذُوا عَنْ غَيْرِ الثِّقَاتِ. وَهَذِهِ الْأُمَّةُ إِنَّمَا تَنْصُ الْحَدِيثَ مِنَ الثِّقَةِ الْمَعْرُوفِ فِي زَمَانِهِ، الْمَشْهُورِ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ عَنْ مِثْلِهِ حَتَّى تَتَنَاهَى أَحْبَابُهُمْ، ثُمَّ يَبْحَثُونَ أَشَدَّ الْبَحْثِ حَتَّى يَعْرِفُوا الْأَحْفَظَ فَأَلْأَحْفَظَ، وَالْأَصْبَطَ، فَالْأَصْبَطَ، وَالْأَطْوَلَ مُجَالَسَةً لِمَنْ فَوْقَهُ يَمَّنْ كَانَ أَقَلَّ مُجَالَسَةً. ثُمَّ يَكْتُبُونَ الْحَدِيثَ مِنْ عَشْرِينَ وَجْهًا وَأَكْثَرَ حَتَّى يَهْدِيَهُ مِنَ الْعَلَطِ وَالزَّلَلِ، وَيَضْبُطُوا حُرُوفَهُ وَيَعْدُوهُ عَدًّا. فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ"<sup>1</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَعَلِمُ الْإِسْنَادِ وَالرِّوَايَةَ مِمَّا حَصَّ اللَّهُ بِهِ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَلَهُ سُلْمًا إِلَى الدِّرَايَةِ. فَأَهْلُ الْكِتَابِ لَا إِسْنَادَ لَهُمْ يَأْتُرُونَ بِهِ الْمَنْقُولَاتِ، وَهَكَذَا الْمُتَبَدِّعُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَهْلُ الضَّلَالَاتِ، وَإِنَّمَا الْإِسْنَادُ لِمَنْ أَعْظَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمِنَّةَ" أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالسَّقِيمِ وَالْمُعْجِزِ وَالْقَوِيمِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْكَفَّارِ إِنَّمَا عِنْدَهُمْ مَنْقُولَاتٌ يَأْتُرُونَهَا بِغَيْرِ إِسْنَادٍ، وَعَلَيْهَا مِنْ دِينِهِمُ الْإِعْتِمَادُ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ فِيهَا الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا الْحَالِي مِنَ الْعَاطِلِ"<sup>2</sup>.

## المطلب الثاني

### المسلك الثاني: عرض السنة على القرآن

السنة المشرفة شارحة ومبينة للقرآن، فقد قال تعالى: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" [النحل:44]، ولا يمكن أبدا للمبَيِّنِ أن يناقض أو يعارض المَبَيَّنَ، فإذا صح الحديث سندا ومتنا فلا يمكن أن يعارض القرآن إلا بفهم خاطئ أو بتأويل فاسد.

قال ابن القيم: "والذي نُشِهدُ الله ورسوله به: أنه لم تأت سنة صحيحة واحدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تناقض كتاب الله وتحالفه ألبتة، كيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو المبين لكتاب الله، وعليه أنزل، وبه هداه الله، وهو مأمور باتباعه، وهو أعلم الخلق بتأويله ومراده، ولو ساغ رد سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم

<sup>1</sup> الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، د.ت، شرف أصحاب الحديث"، المحقق: د. محمد سعيد خطي أوغلي، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة، ص40.

<sup>2</sup> ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحزاني، د.ت، مجموع الفتاوى"، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ج1، ص9.

وسلم لما فهمه الرجل من ظاهر الكتاب لردت بذلك أكثر السنن، وبطلت بالكلية، فما من أحد يحتاج عليه بسنة صحيحة تخالف مذهبه ونخلته لا ويمكنه أن يتشبت بعموم آية أو إطلاقها، ويقول: هذه السنة مخالفة لهذا العموم والإطلاق فلا تقبل"<sup>1</sup>.

فقد يحدث التعارض بين السنة والقرآن بسبب الفهم الخاطئ للآية أو الحديث، كما حدث للسيدة عائشة رضي الله عنها، وذلك فيما أخرجه الشيخان في صحيحهما، أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ، إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ حُوسِبَ عُذْبٌ" قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ أَوْلَيْسَ يُقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: { فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا } [الانشقاق: 8] قَالَتْ: فَقَالَ: "إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ، وَلَكِنْ: مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ"<sup>2</sup>.

وفيه دليل على أن عائشة رضي الله عنها لم تصعب في فهم الحديث، وظنت أنه معارض للقرآن، لولا أن بين لها النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الصحيح للحديث

#### مفهوم عرض السنة على القرآن عند الحدائين:

الحدائون يردون الحديث لأدنى شعبة معارضة للقرآن دون ضابط معين، بل على حسب فهم وهوى كل واحد منهم! فهم يريدون إخضاع كل حديث لميزان القرآن، فإن كان فيه مناقضة قليلة أو كثيرة رفضناه، واطمأنت قلوبنا إلى رفضه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان مفسرا للقرآن، ومفصلا للمجمل من أحكامه"<sup>3</sup> وبذلك فأى خير، أو حكم جاء في السنة ولم ينص عليه القرآن فهو مردود عندهم، فردوا أحاديث المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم، وردوا حد الرجم، وحد الردة، وحد الخمر، وغيرها.

ومن أمثلة الأحاديث التي ردوها بدعوى التعارض مع القرآن: ما أخرجه البخاري في صحيحه، عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَسَّانَ: "أَهْجُهُمْ - أَوْ هَاجِهِمْ وَجِرْبِيلُ مَعَكَ"<sup>4</sup>

قال زكريا أوزون: "أن يأمر الرسول بهجاء المعارضين له هو أمر فيه شك؛ لأن الباري - عز وجل - قال فيه: "وإنك لعلی خلق عظیم"، ولكن أن يكون جبريل الأمين مع الشاعر حسان في هجائه بحيث يصبح شعره مؤيدا من السماء فهذا أمر لا يمكن قبول نسبه إلى الرسول الكريم"<sup>1</sup>

<sup>1</sup> ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، د.ت، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، المحقق: نايف بن أحمد الحمد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ج1، ص187.

<sup>2</sup> البخاري، 1422هـ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، (صحيح البخاري)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، كتاب العلم - باب من سمع شيئا فلم يفهمه فراجع فيه حتى يعرفه - رقم (103)، وأخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب إثبات الحساب - رقم (2876).

<sup>3</sup> محمود أبو رية، د.ت، أضواء على السنة الحمديّة"، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ص9.

<sup>4</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق - باب ذكر الملائكة - رقم (3213).

ويقول جمال البنا: "هناك أحاديث جاءت بما لم يأت به القرآن، نحن نحكم عليها في ضوء القرآن، فما لا يخالف القرآن يقبل، وما يخالفه يستبعد"<sup>2</sup>  
فالأحاديث التي تخالف القرآن من وجهة نظره "كل ما لم يأت به القرآن"، أي أن كل حديث لم يأت مطابقا للقرآن مطابقة تامة يكون معارضا للقرآن ويجب رده!!  
وهذا إنكار للسنة؛ لأنه إذا كان مطابقا للقرآن قبلوه لمطابقته للقرآن، فالحجة حينئذ للقرآن فقط، وإذا جاء بحكم لم ينص عليه القرآن، أو بأي شيء لم ينص عليه القرآن يستبعد لمعارضته للقرآن.  
ويقول أيضا: "وإذا كان تطبيق هذا المعيار يؤدي بمئات أو أكثر من الأحاديث التي احتفظ بها المجتمع الإسلامي لألف عام، فقد لا يكون من المبالغة القول: إن هذا الاحتفاظ كان من أكبر أسباب تخلف هذا المجتمع، وأنه لن يتقدم إلا عندما يتخلص من هذه الأحاديث التي تخالف القرآن"<sup>3</sup>

وقال محمد حسين هيكل: "وعندنا أن خير مقياس يقاس به الحديث، وتقاس به سائر الأنبياء التي ذكرت عن النبي ما روي عنه عليه السلام أنه قال: "إنكم ستختلفون من بعدي فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فمني، وما خالفه فليس عني"<sup>4</sup>.  
وهذا الحديث الذي استدل به على عرض السنة على القرآن - وفق مفهومهم - موضوع مكذوب.

قال الخطابي: وضعته الزنادقة، ويدفعه حديث: "أوتيت الكتاب ومثله معه.  
وكذلك قال الصغاني، ويحيى بن معين.

وقال الشوكاني: "على أن في هذا الحديث الموضوع نفسه ما يدل على رده؛ لأننا إذا عرضناه على كتاب الله عز وجل خالفه، ففي كتاب الله عز وجل (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) ونحو هذا من الآيات<sup>(5)</sup>.  
وهذا دليل على أن الحدائين لا يهتمون إلا بنقد المتن فقط دون السند، كما بينا قبل ذلك.

<sup>1</sup> زكريا أوزون، 2004م، جناية البخاري، الطبعة الأولى، ص: 106، 107.

<sup>2</sup> جمال البنا، د.ت، السنة ودورها في التجديد، ص254.

<sup>3</sup> جمال البنا، د.ت، السنة ودورها في التجديد، ص254.

<sup>4</sup> محمد حسين هيكل، د.ت، حياة محمد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة عشر، (ص: 67).

<sup>5</sup> الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، د.ت، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ص: 291).

## المطلب الثالث

### المسلك الثالث: عرض السنة على العقل

العقل أصل نظرية الحداثة، فهم يدعون إلى سيادته وهيمنته على الأمور كلها، بلا حد ولا قيد، بلا تفريق بين القرآن أو السنة، لكن مع السنة فباب التشكيك عندهم أوسع، فيردون الحديث الثابت الصحيح لأدنى معارضة لعقولهم!! وقد يقبلون الضعيف والموضوع لموافقته لعقولهم!

قال العفيف الأخضر: "هذه العقلانية هي نموذج التدين الوحيد الملائم للقرن الـ 21 الذي بات نفورا من اللامعقول، خاصة الهاذي، مثل اللامعقول الديني. هذه العقلانية ضرورية لفهم مؤسس الإسلام، ونص المؤسس. هذا الفهم العلمي هو الذي ينير الطريق أمام الممارسة المعقولة، ويمهد لظهور العقلانية الدينية التي لا تقبل من الدين كل ما يتعارض مع الحداثة الكونية"<sup>1</sup>

وقال سامر إسلامبولي: "والذي يجب أن نعرفه أولاً، ونبدأ منه الحوار أن العقل موجود في الواقع قبل النقل، فالنقل نتاج لتفاعل العقل مع الواقع، مما يؤكد هيمنة العقل وسيادته على النقل"<sup>2</sup>

يقول خليل عبد الكريم: "إن المنطلق الصحيح لأي تجديد للفكر الديني هو قراءته بعيون مفتوحة، وعقول يقظة، مع نزع غشاوات التقديس والتعظيم، وتغليب النزعة الناقدة على النزعة التسليمية المنقادة، وذلك لنتمكن من وزن الأمور وزنا صحيحاً"<sup>3</sup>

وهؤلاء طبعاً يريدون إخضاع النصوص الشرعية لعقولهم هم، وليس لعقول العلماء، أو غيرهم ممن ليسوا على تركيبة عقولهم.

والمنهج الصحيح تقديم النقل على العقل متى صح النقل وسلم من العلل، وخصوصاً ما يتعلق بأمور الغيب التي لا سبيل للعقل إلى معرفتها بدون النقل.

يقول ابن تيمية: "ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط. وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموفق للشرع"<sup>4</sup>

### هل تأثر الحداثيون بالمعتزلة؟

الحداثيون الذين يريدون التوفيق بين الحداثة والتراث يجدون في الأفكار الاعتزالية تكأة لهم وملجأ وملاذاً، ليؤيدوا أفكارهم، ويبرروا آراءهم.

<sup>1</sup> العفيف الأخضر، 2014م، من محمد الإيمان إلى محمد التاريخ"، مكتبة بغداد، منشورات الجمل، الطبعة الأولى، ص: 11، 10).

<sup>2</sup> سامر إسلامبولي، 2015م، تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم"، القاهرة، ص: 13.

<sup>3</sup> خليل عبد الكريم، د.ت، الصحابة والمجتمع"، ص 380 .

<sup>4</sup> ابن تيمية، د.ت، درء تعارض العقل والنقل " جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ج1، ص 147.

وعلى هذا فالحدائثيون لا يتبنون الفكر الاعتزالي جملة وتفصيلاً، بل يأخذون منه ما يتمشى مع أفكارهم، أو يؤيد كلامهم ويعضده.

يقول نصر أبو زيد: "ولا يعني إحيائنا للاعتزال أننا نقبل مواقف المعتزلة كلها عن عمى وتعصب... تأييدنا للمعتزلة للتيار العام، وللحركة التاريخية، وليس للتفصيلات الجزئية في هذه النظرية أو تلك"<sup>1</sup> فهم يأخذون من المعتزلة تقديمهم للعقل، والقول بالعدل - بمفهومهم - والقول بخلق القرآن، واستقلال العقل بالتحسين والتقييح، وخلق الإنسان لأفعال نفسه، وغيرها مما يخدم أفكارهم. لكن شتان بين دوافع المعتزلة للقول بهذه المبادئ ودوافع الحدائثيين، فالمعتزلة قصدوا الحق فأخطأوا، لكن هؤلاء قصدوا الباطل فأصابوه.

## المطلب الرابع

المسلك الرابع: عرض السنة على الواقع والحياة الاجتماعية، والذوق، والشعور

فالحدائثيون يجعلون الواقع الاجتماعي هو الأصل، والنصوص الشرعية تابعة له، فما وافق الواقع من النصوص قبلوه، وما خالف الواقع رفضوه!

فإذا كان الواقع هو الأصل فما فائدة النص الشرعي إذًا؟

إن الإسلام جاء ليؤسس لواقع جديد وفق المنهج الرباني المتمثل في القرآن والسنة.

يقول أحمد أمين: "ولكنهم - يقصد المحدثين - لم يتوسعوا كثيراً في النقد الداخلي، فلم يعرضوا لمتن الحديث هل ينطبق على الواقع أو لا؟"<sup>2</sup>

وبخصوص معيار الذوق الذي وضعه بعض الحدائثيين لقبول الحديث.

يقول زكريا أوزون: "أما الأحاديث التي تعارض العلم والمنطق والذوق السليم فنتركها دون حرج"<sup>3</sup>

ورد حديث الذبابة: "إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَالْأُخْرَى شِفَاءٌ"<sup>4</sup>

بزعم تعارض معطيته مع نتائج وتطبيقات البحوث العلمية، ومع الذوق الإنساني السليم"<sup>5</sup>

ورد حديث: "إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَمْسَحُ يَدَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلَعِّقَهَا"<sup>6</sup>

<sup>1</sup> نصر حامد أبو زيد، د.ت، نقد الخطاب الديني"، سينا للنشر، ص184.

<sup>2</sup> أحمد أمين، د.ت، ضحى الإسلام"، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص482.

<sup>3</sup> زكريا أوزون، 2004م، جنابة البخاري"، ص27.

<sup>4</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق - باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء - رقم (3320). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>5</sup> زكريا أوزون، 2004م، جنابة البخاري، ص147.

<sup>6</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأطعمة - باب لعق الأصابع ومصها قبل أن تمسح بالمنديل - رقم (5456).



وقال : يعرف هذا الحديث أيضا بحديث البرازة ، وهي ظاهرة تنافي الذوق السليم، وتجنب الطب الوقائي"<sup>1</sup>

### المطلب الخامس

#### المسلك الخامس: عرض السنة على روح الإسلام

بعض الحدائين اخترع معيارا فضفاضاً، وهو عرض الحديث على روح الإسلام، فإن وافق روح الإسلام فيقبل، وإن عارض روح الإسلام فيرد! فما ضابط روح الإسلام؟ ومن الذي يحدد روح الإسلام؟!

طبعاً هم الذين يحدون ما يتمشى مع روح الإسلام، وما لا يتمشى معها! يقول نصر أبو زيد: "جوهر الإسلام ليس معطى ثابتاً، بل هو جوهر قابل دائماً للاستنباط وإعادة الاكتشاف بحسب تطور الوعي الإنساني"<sup>2</sup>

وهذا الثوب الفضفاض الذي يسمونه روح الإسلام يفتح طبعاً الباب على مصراعيه لرد أي حديث لا يروق لشخص بدعوى معاضته لروح الإسلام.

وتحت ذريعة روح الإسلام رد الدكتور حسن حنفي أحاديث الإسراء والمعراج لمعارضتها روح الإسلام! .. فالإسلام دين واقعي ورسالة إنسانية اكتمل فيها الوحي، واستقل فيها العقل، وأصبح للإرادة حرية الاختيار، ولكن الرواية عود إلى الوراء إلى قصص الأنبياء عند بني إسرائيل، حتى لا يكون خاتم الأنبياء أقل من الأنبياء السابقين"<sup>3</sup>

### المطلب السادس

#### المسلك السادس: عرض الحديث على حقوق الإنسان وحقوق المرأة

وهذا معيار اعتبره بعض الحدائين، فما وافق حقوق الإنسان، وحقوق المرأة - من منظورهم هم - قبلوه، بصرف النظر عن إسناده، وما يعارض ذلك رفضوه بصرف النظر أيضاً عن إسناده.

يقول زكريا أوزون: "وسترى الأخت المسلمة من خلال ما سيتم عرضه من أحاديث - وهي غيظ من فيض - أنها مسلوية الحقوق ومهمشة ومستبعدة في معظم الأحيان عن القضايا الأساسية والأمور الهامة"<sup>4</sup>.

يقول خليل عبد الكريم: "شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، هل هذه القاعدة تتفق مع وضع المرأة هذه الأيام بعد حصولها على أعلى الشهادات من أرقى الجامعات"<sup>1</sup>

<sup>1</sup> زكريا أوزون، 2004م، جناية البخاري، ص147.

<sup>2</sup> نصر حامد أبو زيد، 2004م، دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة"، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، ص70.

<sup>3</sup> حسن حنفي، 1988م، من العقيدة إلى الثورة"، دار التنوير، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ج4، ص185، 186.

<sup>4</sup> زكريا أوزون، 2004م، جناية البخاري، ص114.

وهو يشير إلى قوله تعالى: "وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى" [البقرة:282].

وإلى ما أخرجه البخاري في صحيحه، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمَصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ" فَقُلْنَ: وَيَمَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبِ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ"، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ" قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: "فَدَلِيلُ مَنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ" قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: "فَدَلِيلُ مَنْ نُقْصَانِ دِينِهَا"<sup>2</sup>

وهذه مغالطة كبيرة؛ لأن الله عز وجل جعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل فيما لا يخصها فيما يتعلق أكثر بالرجال، وفي بعض الحالات تقدم شهادتها على شهادة الرجل، وذلك فيما يتعلق النساء ولا يطالع عليه الرجال، أو ما كان إلى أمور النساء ألق، وعلى ذلك فالمسألة ليست مسألة رجل وامرأة، بل مسألة تعلق واختصاص. ويقول جمال البنا: "نحن نتوقف أمام كثير من الأحاديث التي جاءت عن المرأة بدءاً من خلقها من ضلع أعوج، حتى حجابها حتى لا تظهر إلا عينا واحدة"<sup>3</sup>

#### الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد.. فمن خلال البحث توصل الباحث إلى النتائج التالية:

- (1) الحداثيون يقدسون عقولهم ويجعلونها قاضية على الكتاب والسنة.
- (2) الحداثية قائمة على التحرر من كل القيود، والضوابط، والقيم، والمعايير، وأحكام الشريعة الإسلامية، ومن كل شيء يكون عقبة أمام عقولهم وتوجهاتهم.
- (3) الحداثيون ينظرون إلى النموذج الغربي على أنه النموذج الذي يجب أن يحتذى وينشد، وأن تراثنا الإسلامي هو سبب تأخر الأمة.
- (4) يتبنى الحداثيون المناهج الغربية لنقد موروثاتهم الدينية التي كانت بالفعل تحتاج إلى نقد علمي وعقلي، لما شاب تلك الموروثات من خرافات وخزعبلات، فهم يتبنون نفس المناهج للتعامل مع التراث الإسلامي.
- (5) نبذ السنة، والتشكيك فيها، والطعن في روايتها، وفي مصدرها، قاسم مشترك بين الحداثيين.
- (6) عرض السنة على القرآن في مفهوم الحداثيين يعني أن كل حديث لم يأت ما يطابقه في القرآن فهو معارض للقرآن يجب رده!

<sup>1</sup> خليل عبد الكريم، د.ت، النص المؤسس ومجتمعنا، دار مصر المحروسة، ج2، ص124.

<sup>2</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحيض - باب ترك الحائض الصوم - رقم (304).

<sup>3</sup> جمال البنا، د.ت، السنة ودورها في التجديد، ج2، ص252.

- (7) يعتمد الحداثيون في نقد الحديث الشريف على المتن فقط دون السند، مقلدين في ذلك الحداثيين الغربيين، بيد أن الغرب ليس لديهم أسانيد ينتقدونها لموروثاتهم الدينية، سواء اليهود أو النصارى.
- (8) الحداثيون بعيدون كل البعد عن الموضوعية والتجرد من الأهواء، والبحث العلمي النزيه، بل عندهم قناعات وأحكام مسبقة ينطلقون منها، فما وافقها من الوحي عموماً قبلوه، وما خالفها ردوه ورفضوه.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، د.ت، **مجموع الفتاوى**، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.
- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، 1379هـ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت.
- ابن تيمية، د.ت، **درء تعارض العقل والنقل** جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، د.ت، **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، المحقق: نايف بن أحمد الحمد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل الأنصاري الرويفعي الإفريقي، 1414هـ، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة.
- أحمد أمين، د.ت، **ضحى الإسلام**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.
- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، د.ت، **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
- البخاري، 1422هـ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى.
- جمال البنا، د.ت، **السنة ودورها في التجديد** دار الفكر الإسلامي، القاهرة.
- الحارث فخري عبد الله، د.ت، **الحدائث وموقفها من السنة**، دار السلام - مصر.
- حسن حنفي، 1988م، **من العقيدة إلى الثورة**، دار التنوير، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
- خليل عبد الكريم، د.ت، **النص المؤسس ومجتمع**، دار مصر المحروسة.
- خليل عبد الكريم، د.ت، **الصحابة والمجتمع**، سينا للنشر، مصر.

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، د.ت، شرف أصحاب الحديث"، المحقق: د. محمد سعيد خطي أوغلي، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة.
- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، د.ت، مختار الصحاح"، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا.
- سامر إسلامبولي، 2015م، تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم"، القاهرة.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، د.ت، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة"، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، د.ن، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير"، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.
- العفيف الأخضر، 2014م، من محمد الإيمان إلى محمد التاريخ"، مكتبة بغداد، منشورات الجمل، الطبعة الأولى محمد حسين هيكل، د.ت، حياة محمد"، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة عشر.
- محمود أبو رية، د.ت، أضواء على السنة المحمدية"، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، د.ت، (صحيح مسلم) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- نصر حامد أبو زيد، 2004م، دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة"، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة.
- نصر حامد أبو زيد، د.ت، نقد الخطاب الديني"، سينا للنشر.
- زكريا أوزون، 2004م، جناية البخاري"، الطبعة الأولى.